الروائيون الفرنسيون في القرن التاسع عشر: (٢-٢)

من الواقعية الرومانسية إلى الواقعية الطبيعية

استنتاجات «زولا» جاءت في رحلة مبكرة.. فافتقدت للبراهين العلمية

د.منصور القاضي

ديومه الأب- والإبن

مع أنه بالنسبة لتطور الأدب الفرنسي كان للمسرحي الكاتب أليكسندر ديومه، قد لعب تقريباً دوراً أكبر مما قدمته رواياته، إلا أنه وبطبيعة الحال ما عُرف إلا من خلال بعض أعماله الرومانسية مثل «الثلاثة المسلحين بالمسكيت ١٨٤٤م» و «الكونت مونتير- كرسنتوا ١٨٤٤-١٨٤٥م»..

أليكسندر ديومه مثّل تراجعاً ملحوظاً في الجانبين الاجتماعي والفلسفي بالمقارنة مع أعمال الرومانسيين الآخرين، إلا أن أعماله تميزت بالواقعية الحية- انعكاساً للهوية التاريخية والأحداث التي فتنت خيال أبناء جيله وكذلك الكثير من قُرّاءه من الأجيال اللاحقة..

أما ديومه الصغير ابن صاحب رواية «الثلاثة المسلحين بالمسكيت» لم يكن إبناً شرعياً لأبيه، ولهذا السبب ظل ديومه الإبن يتألم طوال حياته، لكنه بالمقارنة مع أبيه ديومه الابن «١٨٢٤- ١٨٩٥م» أغلب ما كتبه على الأرجح كانت تمثيليات مسرحية، إلا أن بعض الاستخدامات للهجة في تمثيلاته لم تكن ترضي دائماً أذواق المتلقين حتى في العصر الراهن.

إلا أن شهرة أدبه في البداية قد جاءت عبر مسرحية «سيدة مع نبات الكاميليا ١٨٥٢م» وهي التي كتبها متأثراً بروايته السابقة التي كتبها في العام ١٨٤٨م» ، بالاضافة الى توظيفه لموضوع هذه الرواية في عمله الشهير «أوبرا- ترافيتا»..

يمكن القول أن الأعمال الأدبية لهيجو، وديومه الأب وديومه لابن قد ظلت جديرة بالاستمرار على أسس التقاليد الرومانسية التي بدأ بها اسلافهم، وخلافاً لهم صوّر الواقعيون- الوجود والأخلاق القائمة في حياة الفرنسيين وحاولوا ليس فقط إعادة انتاج للشخوص ولمحيطهم بعناية دقيقة، بل بحثوا بدقة متناهية عن المشكلات النفسية الداخلية لهم.

الاتجاهات الجديدة في الرواية الفرنسية

رواية «مدام بافاري» لجيوستاف فلوبير «١٨٢١-١٨٨٠» بشرت بالانتقال من الرومانسية الى الواقعية «١٨٧٥م» النص الدرامي الذي يكشف الخيانة الزوجية في الريف النورماندي أظهر دهشة القارئ عند ملاحظته باحساس داخلي لوصف واقعي لأدق الأشياء..

فلوبير، بشكل متعمد يريد وضع خطوط حمراء واضحة للكشف عن الاكتئاب الممل في الحياة اليومية» مما يمنح روايته صبغة خاصة، من خلال تلمسها لأهم الجوانب النفسية والروحية الرهيفة، فمحاولات «إيمي بفاري» زوجة الطبيب الريفي التي هربت من الكبت اليومي الممل والمشوب باليأس وفقدان الأمل للظفر بمتعة الحياة من خلال سلسلة من العلاقات الغرامية التي لم توصلها في النهاية إلا الى الانتحار.

فلوبير ببساطة لم يبين فقط عدم جدوى العلاقات العاطفية وأوهام البحث عن وسائل اشباع الرغبات الروحية ولكنه يصف البرجوازية بالمعيقة لحركة التطور الاجتماعي

تعتبر ملحمة «الهزل البشري» من أهم أعمال بلزاك الكاملة وتميزت باسلوب تكرار الشخصيات وتداخلها

والمشجعة لظاهرة النفاق الذي لم يترك أي فرصة لتحقيق الحاجات الروحية للفرد آنذاك.

جي ديه موباسان «١٨٥٠- ١٨٩٣م» اتبع نفس أسلوب فلوبير في كتابة الرواية بل يمكن القول بأنه كان مستوى التأثر بفلوبير بمثابة الإبن بالتبني في الأدب، ففي رواياته وخصوصاً في القصة، تماماً كأستاذه ينتقد كل مظاهر التقت بالمفردات السيئة وكذا المراءاه والنفاق ويتهكم بشدة ضد نزعة التعصب للمحافظة على القديم وخصوصاً على أولئك الذين يصنفون بأنهم ممثلو المجتمع..

أما النظرة العامة في أعماله فهي نظرة تشاؤمية، متشبعة بالوعي الوجودي عديم الجدوى، وبطبيعة الحال كانت شخوص أعمال الروائية الذين كان يحبذ إبرازهم والكشف عن أوضاعهم هم من فئة المساكين والفقراء، وبغض النظر عن مذهب الارتياب الذي سيطر على نظرة موباسان فيما يخص العلاقات المتبادلة بين الناس، بالاضافة الى ازدرائه للمظاهر الحقيرة القانطة والمتخفية بثوب المجتمع الراقي إلا أن أعمالها شكلت نقلة نوعية في الأدب الفرنسي والأوروبي من الرومانسية الى الواقعية.

بالاضافة الى حملها تباشير ظهور المدرسة الطبيعية في الأدب.

التعبير عن الحياة غير المرغوب فيها

في رواية النصف الثاني من القرن التاسع عشر...

إيميل زولا «١٨٤٠- ١٩٠٢م» تميزت أعماله بالنظرة النقدية لمظاهر الحياة المزيفة عند شريحة من الفرنسيين المتظاهرين بالعفة والرقي، معبراً عن ذلك بالشخوص عديمي الإحساس بأوجه الحياة المختلفة وذلك ما يجمعه مع موباسان، إلا أن الفرق بينهما جاء في طبيعة تفكير كل منهم بدور ووظيفة الكاتب.

إذ أن موباسان اختلف عن زولا في أنه ركز على قضيتي التأمل والاستنكار فيما هو حاصل، بيد أن زولا جمع بين كل أسلحة الكاتب بما في ذلك الاسلوب التخيلي للهجوم على كل متناقضات الحياة التي تعكر صفو المجتمع.

في وقت أن بلزاك كان قد استخدم نظرية علم الحيوانات في تحليله للوضع العام بالنسبة للبشر وهي نظرية «جافروسين إيلير» من أجل الكشف عن أوجه التشابه بين عالم الحيوان وعالم الانسان لكن زولا قد تطرف في البحث عن البنى الأساسية لعالمه الخيالي في أعمال العال «الفسيولوجي» كلوديير نار، وعند عالم علم الوراثة «إيروسبير ليوك» وعلى أساس الفرضيات التي وضعوها حاول زولا وضع أسس نظرية للمؤلف الروائي، كما توضع للباحث في المجالات العلمية البحتة، بالاضافة الى دراسته للمؤثرات البيئية الوراثية على طبائع الشخوص في رواياته..

ولعل مدخلاً علمياً للأدب مثل هذا، على أية حال يمكن تسميته بمسوغ بالإمكان النظر في أمره، إلا أن الرسالة التي يؤديها الكاتب الروائي تختلف تماماً عن المهام التي يؤديها العالم في مختبره العلمي، فالأديب يمتلك سلطة غير محدودة على الشخوص والأحداث في الرواية، وهذه هي الميزة التي يحرم منها العالم في مجال العلوم الطبيعية والتطبيقية، هذا غير أن هذه الأسس النظرية للأدب التي على أساسها حاول- زولا- بناء استنتاجاته في تلك الفترة كانت ماتزال في مرحلة مبكرة عن التطور وكانت من المشكوك فيها تقريباً ولا تمتلك أي براهين علمية أو موضوعية ومع ذلك كانت هناك جملة من المقارنات بشكل أو بآخر تجلت في الروايات التي عكست أوضاع الحياة لدى الأفراد المنتمية للطبقة العاملة وخصوصاً تلك الأوضاع التي ارتكزت عليها ملحمة «روتون- ماكاري» «١٨٨٦- ١٨٩٣م» ورواية «المصيدة» «١٨٧٧» وضمن هذه السلسلة المليئة بالحماس الروائي، وخصوصاً فيما يتعلق بعمق تجربة سقوط الأسر المقيمة في أحياء باريس الفقيرة..

أما في رواية «الأرض» «١٨٨٧م» زولي يجبر القارئ على التفكير عن أن الدناءة والوضاعة من الغرائز الفلاحية، ونتيجة لارتباطهم الوثيق بالأرض، وذلك مالم يتفق عليه اثنان يرون في الأرض نبع الفضيلة وروضة الحياة، هذا فضلاً عن نظريته بحتمية تجسيم لوحة الحياة البشرية انسجاماً مع تفاعل الألوان والظفر بالنتيجة الغبية صوفية المشهد.

يتبين من خلال كتابات زولي أنه لم يركز كثيراً على العلاقة الجدلية بين الانسان والبيئة المحيطة به، بالمقارنة مع أسلافه الذين كانت هذه العلاقة واضحة في أعمالهم الروائية والمسرحية والقصصية مثل ستندال- بلزاك- فلوبير، بينما دعا هو الى الترويج للوحدة الجماعية بهدف الوصول للظفر بالمصالح الذاتية بدرجة أولى ثم مصالح المجتمع بدرجة ثانية وربما لهذا السبب البسيط ربما سمي زولا «بشاعر الجمهور»..

هامش: تم الاعتماد في كتابة هذه الدراسة على الروايات والمسرحيات التي تم تحليلها داخل هذا البحث ومعظمها مترجمة الى اللغة الروسية.

فصلية الفكر الثقافية بغيل باوزير

سالم شيخ باوزير

طموح.. وولع ثقافي.. ومشروع ينتظر الدعم

نشرة الفكر الثقافية الفصلية التي تصدرها جمعية المؤرخ اليمني الكبير/سعيد عوض باوزير بمديرية غيل باوزير- حضرموت بدأت نشاطها الثقافي في ربيع عام ١٩٩٦م وبجهود ذاتية من قبل هيئة التحرير والمجلس الاداري للجمعية الذين آلوا على أنفسهم الاستمرار والمواصلة لانجاز المهام المحددة في خطتي نشرة الفكر وجمعية المؤرخ باوزير.. وخلال اصدارات نشرة الفكر الـ٢٢ وآخرها عددها الخاص والمكرس للذكرى الخامسة والعشرين لرحيل المفكر والمؤرخ اليمني/سعيد عوض باوزير وبدء فعاليات صنعاء عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٤م.. وختمت نشرة الفكر بالجانب الثقافي وتجسيد الموروث الشعبي القديم في مديرية غيل باوزير التي تأسست في عام ٧٠٦هـ أسسها العلامة الشيخ/عبدالرحيم عمر باوزير اضافة الى الأهمية الثقافية والعلمية لمدينة غيل باوزير التي كانت على الدوام في تاريخها القديم والحديث منارة للثقافة ومشعلاً من مشاعل العلم والتعليم والمعرفة وانفردت بافتتاح أول مدرسة وسطى بحضرموت في عام ١٩٤٤م ومعهداً دينياً ومدرسة ابتدائية نموذجية ومدرسة للمعلمين وثانوية صغرى ورباطاً علمياً هو رباط العلامة/محمد عمر بن سلم عام ١٣٢٠هـ وبمساندة الكثير من المثقفين والأدباء امتدت أيدي المساعدة والمشورة والمساهمة بالكتابة في نشرة الفكر وتقديم المقترحات والآراء لتطوير النشرة الى الأفضل.

وتعد المدرسة الوسطى القديمة أهم معلم تربوي استوعب الآلاف من طلاب حضرموت ساحلها وداخلها واسهمت في النشاط العام وكانت تضم بين جنباتها اضافة الى حصص الدراسة أنشطة صيفية متعددة ثقافية ومسرحية ورياضة اجتماعية وصحفية واتبعت نشرة الفكر الثقافية الفصلية النهج الثقافي وكان محقاً في ابتعاده عن الاسفاف والسطحية دون الوقوع في خانة التقعر والجفاف مما أكسبها احترام وثقة القارئ واكتسبت بذلك صفة الريادة في معظم النشرات التي أصدرتها وهي ظاهرة صحية تؤكد حاجة الناس العميقة الى التعبير في قضاياهم وعن تراثهم وتاريخهم وابداعاتهم وأصبحت الفكر رقماً كبيراً ومهماً في حساب العمل الثقافي والنشاط الفكري الذي يتلمس حاجة الشارع والمواطن والقارئ العادي بتطلعاته وأحاسيسه الفياضة بالرغبة في الثقافة الجادة والكلمة الرصينة والرأي المتزن الحسين تهدف الى التغيير والوعي وتحريك الواقع وامتلاك ناصية الدور القيادي والادارة الفاعلة في التغيير والتحديث.

مشروع الجمعية الثقافي والطموح

جمعية المؤرخ اليمني الكبير/سعيد عوض باوزير تسعى في الوقت الحاضر الى تأسيس مركز ثقافي في مديرية غيل باوزير يضم قاعة محاضرات ومتحفاً ومسرحاً ومكتبة عامة تلبي رغبات الصفوة المثقفة من الشباب والمبدعين وما أكثرهم في مديرية الغيل ذات الإرث الثقافي والتاريخي زاخرة بالشعراء والعلماء والمؤرخين.. وقد بدأت الجمعية بوضع قدمها على ألا الخطوات لتنفيذ مشروع المركز الثقافي إلا أن الظرف المادي وقف حجر عثرة أمام هذا الطموح الثقافي وفي حاجة ماسة اليوم الى مد يد العون لها من كل الجهات المعنية وخاصة وزير الثقافة والسياحة الاستاذ/ خالد الرويشان ومحافظ حضرموت الاستاذ/عبدالقادر علي هلال للمضي قدماً في تنفيذ هذا المشروع الذي سيجعل من غيل باوزير بحق عاصمة حضرموت الثقافية وفقاً لما أكده محافظ المحافظة نأمل أن يتحقق هذا الحلم ليمثل استمرار العمل الثقافي والنهوض الثقافي.

انجازات جمعية المؤرخ باوزير

وأولى انجازات الجمعية اصدار نشرة الفكر الثقافية الفصلية في عام ١٩٩٦م وتأسيس المنتدى الثقافي والأدبي وقامت الجمعية باصدار عدد من الكتب والمؤلفات التاريخية التي لم يتمكن المؤرخ من اصدارها لظروف مختلفة وبمساعدة جهات حكومية اسمها جامعة عدن وبمساعدة د/صالح علي باصرة.. ومن هذه الاصدارات كتاب حياة جديدة... السيرة الذاتية للمفكر والمؤرخ باوزير الذي حمل غلافه عبارة «صنعاء عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٤م» ومعارك الأحرار.. ويضم أربعة أبواب العمل: العمل الوطني، الوحدة والاتحاد، الثورة والتحرر الوطني، القضايا الوطنية، وصفحات من تاريخ عدن، والثقافة سبيلنا الى الكفاح، اضافة الى مؤلفاته التاريخية التي اصدرها المؤلف في حياته الاعوام ١٩٥٤- ١٩٥٩م- ١٩١٦م وهي حسب الترتيب معالم تاريخ الجزيرة العربية، صفحات من التاريخ الحضرمي، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، منظم حفل كبير في ذكرى وفاته الخامسة والعشرين ١٩٧٨م- ٢٠٠٣م ولا تزال هناك جهود تبذل لاصدار مؤلفات أخرى تركها المؤلف التاريخية والأدبية والثقافية وعلى رأس هذه الجهود نجله الشاب والأديب والشاعر/نجيب سعيد عوض باوزير وهيئة تحرير نشرة الفكر والمجلس الاداري للجمعية برئاسة الأديب الاستاذ/محمد أحمد عباد.. المؤرخ باوزير كان صحفياً بارعاً.. عاصر البدايات الأولى لازدهار الصحافة بحضرموت وبرز في مقالاته السياسية والاجتماعية والثقافية النقدية الهادفة في صحيفة الطليعة وبرز في مقالاته السياسية والاجتماعية والثقافية النقدية الهادفة في صحيفة الطليعة الحضرمية التي كانت تصدر في المكلا ١٩٥٩-١٩٦٧م لصاحب الامتياز الاستاذ/احمد عوض باوزير وكانت مقالاته تتصف بالجرأة والصراح والشجاعة وينشرها في عموده الاسبوعي من الخميس الى الخميس.. وكان تربوياً وأسس مكتبة التربية والتعليم بغيل باوزير عام ١٩٥٤م..

كلمة أخيرة

فصلية الفكر الثقافية تتعثر في اصداراتها.. لعدة أسباب أهمها التمويل والدعم وهي وعاء ثقافي في دعم ومساعدة غنية.. عن الثقافة اليمنية وجوانب التطور الثقافي والأدبي والتاريخي.. والتراثي القديم.. ورصد أمين لسير فعاليات صنعاء عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٤م وقد كرست عددها الثاني والعشرين للحديث عن هذه المناسبة الهامة في مجرى تطور الثقافة اليمنية المعاصرة.. وجاء في افتتاحية هذا العدد... من غيل باوزير في محافظة حضرموت الى صنعاء عاصمة اليمن الموحد وعاصمة الثقافة العربية في العام الذي أقر عاماً للثقافة ٢٠٠٤م نقدم هذا العدد الجديد والخاص من دورية الفكر نهديه إهداءً خاصاً بين يدي هذه المناسبة الثقافية لعله يلقى شيئاً من الضوء على ثقافة حضرموت وابداع حضرموت وفكر حضرموت ويساهم بجزء يسير في هذا الحدث الثقافي الذي نعتبره هاماً اضافة الى مساهمات أخرى خرجت من معطف هذه المدينة غيل باوزير ومن معطف جمعية المؤرخ باوزير.. وكانت بداية التواصل مع هذا الحدث التي يتوج عام ٢٠٠٤م بحصاد ثقافي كبير.. وجهد أدبي ملموس.

في ندوة ثقافية بمناسبة مرور قرنين على وفاته:

الفيلسوف والمفكر الألماني كانط ومشروعه الإنساني الشامل للسلام

بمناسبة مرور قرنين من الزمان على وفاة المفكر والفيلسوف الألماني «ايمانويل كانط» وفي إطار الاحتفاء بعظماء المفكرين والفلاسفة الذين أثروا في حياة العالم العربي بأفكارهم ، أقامت لجنة الفلسفة بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة احتفاءً خاصاً بهذه المناسبة، حيث عقدت ندوة ثقافية حول هذا المفكر، تناولت «كانط» كواحد من الفلاسفة الذين دعوا إلى إزالة الجيوش، وتأسيس السلطة على أساس الجمهورية وإعطاء الفلاسفة الحق في إقامة دور فعال وتنويري.

وقد أكد الحاضرون أن انعقاد هذه الندوة جاء في مرحلة يعاني فيها التاريخ الإنساني من صراعات وأحداث، وهذا ما عبر عنه «كانط» في بناء مشروعه الإنساني الشامل للسلام في كتابه «نحو سلام دائم».

▫ القاهرة: الثورة/ داليا فاروق

وفي بداية الندوة أشار المفكر والناقد محمود أمين العالم.. إلى أن فلسفة «كانط» في جوهرها مركب أخلاقي ونظري محكمة الحرية التي هي عقلانية متابعة من الإنسان، وكلاهما يرتبط بخضوع إرادي للقانون الأخلاقي، فالإنسان لا يكون حراً إلا إذا اكتفى بتحقيق رغباته، كما أن هذا القانون الأخلاقي كله ينطبق على الناس جميعاً لأنه يقول «تصرف مع الإنسان الآخر كغاية وليس مجرد وسيلة» وأوضح أن احتفاءنا بكانط هو احتفاء بالسلام العادل والعالمي لأنه يتبنى قضية هامة تتداخل فيها العقلانية والممارسة للحرية.

أما د.صلاح قنصوة -أستاذ النقد والفلسفة بآكاديمية الفنون سابقاً فقال: إن جلسات هذه الندوة الموسعة ستكون تجليات وتعابير تلقي الضوء فيها على مدى تأثير كانط على الإنسانية، فهذه الاحتفالية ليس تأبيناً وإنما تذكرنا بالوصايا التي تركها كانط والتي أنتجت ثمارها في الفلسفات المتعاقبة بعد ذلك وأكد أن هناك ثلاثة مصطلحات ما زلنا نستخدمها حتى الآن وهي «العقل الإنساني، والتنوير، والنقد» فتذكرنا هذه المصطلحات بدور كانط في التنوير فهو لم يكن فيلسوفاً، ولم يكن هناك فرق بين العالم والفيلسوف في زمنه، وكان عالماً يتصل بعلم الفلك والجغرافيا، وهو أول من قال بتطور الكون بداية من فكرته الجزئية وبعدها دراسته بطريقة علمية توفر فيها كل إمكانيات عصره.

وفي كلمته قال د.عبدالغفار مكاوي -أستاذ الفلسفة بآداب جامعة القاهرة، استوقفني ما كتبه الشاعر عبدالمعطي حجازي عن الحضور العربي في معرض فرانكفورت في إحدى مقالاته حيث لفت انتباهه ما قيل عن «ما مدى معرفة العرب بكانط» فكانت شخصية يشع فيها الجلال منذ أيامه في صومعته الفلسفية، والتي تقع الآن في الأراضي الروسية فارتبط كانط بنزعته الإنسانية واحترام الإنسان للعقل ولخص نظريته التي أشفقت على الإنسان من الفوضى الفكرية التي سببها الإقطاعيون، وانتهى كانط بأنه لاخلاص إلا بالرجوع إلى النفس في عالم الظواهر.

وأشار د.مكاوي إلى ترجمة د.نازلي إسماعيل لأحدى كتبه والتي أكدت أن شخصية «كانط» شخصية متميزة بالإنضباط الشديد حيث لم يكن منغلقاً كما قيل عنه، بل كان له شخصية مرحة ومتفتحة على الحياة فهمه الأول هو الإنسان حيث تأسست فلسفته في الأساس لارتباطها بالإنسان، وبالمصلحة البشرية، ومنذ تحرره من الميتافيزيقا القطعية بدأ يشك في الميتافيزيقا الوجودية والتي تؤكد بغير دليل بأن المعرفة العلمية لم تنتج عن معرفة عقليه سابقة، فأكد كانط بأن الفلسفة تنتج عن العقل الخاص وليس من عقول الآخرين معبراً في ذلك عن روح عصره ومستشرفاً بآفاق المستقبل.

وقد فرق د. مكاوي بين ثلاث مراحل الأولى: هي مرحلة انشغاله بعلم الرياضيات، وأبرزها كتابه «التاريخ العام للطبيعة ونظرية السماء» والمرحلة الثانية: هي التي برز فيها تحرره من الميتافيزيقا الشائعة، وكتب فيها كانط مؤلفات كثيرة أهمها «أحلام دائماً مشغوفة بأحلام الميتافيزيقا» وفي عام ١٧٧٠م كتب «صورة ومبادئ العالمية العقلي والحسي» وأجاب فيه على سؤال هل يمكن أن نصل إلى المطلق أم لا؟ أما المرحلة الثالثة: فتميزت بصدور كتابه «نقد العقل الخالص» عام ١٧٨١م .. والذي أثبت إمكانية خلود الروح.

تحرير الجمال

أما الشاعر المصري د.حسن طلب أكد أن علم الجمال لم يستقل عن الفلسفة إلا في القرن ١٧ وقبل ظهور كانط وعلى يد «باون جارتن» وهذا ما أشار إليه كانط من خلال كتابه «نقد ملكة الحكم» لأنه جاء ليناقض فكرة، من حيث إخضاع علم الجمال للعقل ورفض ما توصل إليه فلاسفة الإنجليز للأحكام الخلقية..مؤكدا أن هذا الكتاب جاء كانط به ليحرر الجمال عن الأخلاق وهو امتداد لتحريره للأخلاق ذاتها، مما عرض كانط لهجوم شديد لأنه كان يرى أن التحرر ليس فصلياً لكنها مقارنة عميقة أراد بها كانط أن يقول أننا نستطيع أن نجد شروطاً متباينة للمعرفة قبل أن تأتينا الإحساسات، وفي الأحكام الجمالية ليس هناك أحكام مسبقة فيها، مما أثار سؤالاً كيف أصبح علم الجمال في مقدمة العلوم؟ بعد أن كان في ذيل القائمة.

لذلك أوضح د.طلب بأن الأحكام الجمالية عند «كانط» تميزت بتجربة جعلتها تنفصل وتستقل عن الأحكام الخلقية والعقلية ولا توجد مبادئ معيارية في الأحكام الجمالية وهذا ما ميزه عن غيره من الفلاسفة الذين تبعوه ، مؤكدا نظريته هي التي شكلت خلافاً لنظرية هيجل الذي لا يخضع للعقل.

أما الجلسة التي أثارت مناقشات ومداخلات ساخنة هي جلسة د.عطيات أبو السعود -أستاذ الفلسفة بآداب جامعة حلوان والتي تحدثت عن كانط والسلام العالمي، فقالت إن الصراعات تحقيق كانط للسلام، وبإخضاع السياسة للمبادئ الأخلاقية، يبدو أمراً مستحيل المنال ولو قُدر لكانط أن يعيش بيننا الآن لشهد محاولة مشوهة لإحياء مشروعه في إطار ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، والذي يعني في نهاية الأمر ضم دول العالم تحت لواء دولة واحدة، بزعم إقرار السلام في العالم مما يهدد هذا النظام خصوصية الدول وثقافتها القومية وينذر بإدماجها في ثقافة واحدة.

واختتمت د.عطيات حديثها بأن واقع عصرنا يثبت بأن كانط والذي عاش في القرن ١٨ كان أكثر وعياً بالواقع التاريخي من أنصار النظام العالمي الجديد في عصرنا الحالي عندما أصر على أن يكون تحالف الشعوب في اتحاد إرادي مع احتفاظ كل دولة باستقلالها وخصوصيتها وألا يتحول هذا الاتحاد إلى جمهورية واحدة لما تنطوي عليه هذه الفكرة من مخاطر.. وإذا كان مشروع كانط للسلام قابلاً للتحقيق في الواقع الفعلي فإن الواقع التاريخي الذي نعيشه الآن والذي تحول فيه العالم إلى مسرح للصراعات الوحشية والدامية التي تحركها المصالح والأهواء ويحول دون ذلك ويضع مشروع كانط في إطار المشروعات اليوتوبية التي يصعب تحقيقها وإن كانت غير مستحيلة.

ومن جهة أخرى أكد د. حسن حماد أستاذ الفلسفة، أن مثالية كانط تختلف عن المثاليات الأخرى التي رأت أن العالم الخارجي أو عالم العيان ليس له وجود في ذاته وإنما وجوده في الأذهان أما مثالية كانط فهي برغم تسليمها بوجوب الظاهرات إلا أنها لا تنكر وجود الأشياء في ذاتها فهي لا يمكن أن تكون معروفة لنا، ومن ناحية أخرى أن اكتساب المعرفة تستلزم أن تكون الظاهرات التي هي موضوع تلك المعرفة في الذهن وحده ويستلزم أيضاً أن تكون ملائمة للصور التي فيها، يتلقاها الذهن أولاً ثم يفهمها، ومن أجل هذا اعترض كانط على وصف مثاليته بأنها متعالية أي مجاوزة أو مفارقة للتجربة وفضل أن تسمى بالمثالية الصورية أو النقدية بمعنى أنها تتخذ العقل ملكة مشرعة للأشياء، وتجعل قوانين الضرورة الكلية شرطاً لا غنى عنه لإمكان التجربة، وبتلك النظرة قال د. حماد أن كانط استطاع أن يتغلب على التعارض التقليدي بين العقل والتجربة في الفلسفات السابعة.

لمحة تاريخية

ومن جانبه أشار د. رمضان البسطاويسي أستاذ الفلسفة.. إلى لمحة تاريخية وفاصلة في تاريخ الفسلفة ما بين «١٧٢٤-١٨٠٤م» وبرزت ملامح هذه الفترة بكانط، ودوره في تاريخ الفلسفة.. فالقى الضوء على تواريخ هامة في حياة هذاالفيلسوف الألماني «كانط» والذي ولدت في كنيسبرج والتحق بمعهد فريدريك الديني عام ١٧٣٢ ثم التحق بجامعة كنجسبرج والذي درس فيها اللاتينية والآداب ثم الفلسفة والرياضية والعلوم وبقي فيها مدرساً مدة ١٥ عاماً قام خلالها بتدريس العديد من الموضوعات ومن ضمنها الميتافيزيقا والمنطق وعلم الأخلاق والرياضيات، لكنه فشل في أن يكون أستاذاً حتى عام ١٧٧٠ حين فرغ كرسي المنطق والميتافيزيقا وعين فيه، واستمر في العمل بالجامعة حتى ١٧٩٦م ثم أصبح عضواً في مجلس الشيوخ الأكاديمي ١٧٨٠م ثم صار عضواً في الأكاديمية الملكية للعلوم في برلين ١٧٨٧م - وتوفي عام ١٨٠٤م.

وأشار د.البسطاويسي أن «كانط» كان ذا نزعة عقلية اهتم فيها بالعلوم الطبيعية التجريبية ذات مدلول سياسي فقط بل لها أيضاً مدلولاتها الفلسفية.

وأوضحت أن "كانط" في المادة النهائية الثالثة لهذا المشروع العالمي يدين فيه الاستعمار الأوروبي للشعوب بكل أشكاله وقد كان لإدانته هذه فضل السبق في عصر كان يزهو بنشوة التفوق وإحكام القبضة على المستعمرات كما أدان المظالم التي ارتكبتها الدول الأوروبية في الدول التي تم غزوها بالتجارة، ومن هنا وضع كانط تصوراً كاملاً لتنظيم المجتمع داخلياً مع تنظيم العلاقات بين المجتمعات تنظيماً قانونياً ونادى باحترام الشخص الإنساني في فلسفته الأخلاقية وباحترام الدول باعتبارها أشخاصاً جديرة بالاحترام ومنها احترام القيم الأخلاقية التي ركز فيها كانط وصولاً بهذا المشروع العالمي للسلام بأن تخضع هذه السياسة للقانون الأخلاقي النابع من العقل البشري حتى تقوم القوانين الأخلاقية على التسليم بحرية الإنسان التي لا يجوز فيها التهاون في شأنها، ومن هنا أكدت د. عطيات بأن الحرية هي لُب مذهب كانط الأخلاقي.

وبعد مضي قرنين من الزمان يتساءل الحاضرون: هل مازال مشروع كانط للسلام حياً أم أنه محض خيالات فيلسوف أراد جمع شمل الدول في اتحاد إرادي لوقف نزيف الحروب؟

أجابت د.عطيات بأن الواقع الفعلي يثبت بأن تحقيق كانط للسلام، وإخضاع السياسة للمبادئ الأخلاقية، يبدو أمراً مستحيل المنال ولو قُدر لكانط أن يعيش بيننا الآن لشهد محاولة مشوهة لإحياء مشروعه في إطار ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، والذي يعني في نهاية الأمر ضم دول العالم تحت لواء دولة واحدة، بزعم إقرار السلام في العالم مما يهدد هذا النظام خصوصية الدول وثقافتها القومية وينذر بإدماجها في ثقافة واحدة.

واختتمت د.عطيات حديثها بأن واقع عصرنا يثبت بأن كانط والذي عاش في القرن ١٨ كان أكثر وعياً بالواقع التاريخي من أنصار النظام العالمي الجديد في عصرنا الحالي عندما أصر على أن يكون تحالف الشعوب في اتحاد إرادي مع احتفاظ كل دولة باستقلالها وخصوصيتها وألا يتحول هذا الاتحاد إلى جمهورية واحدة لما تنطوي عليه هذه الفكرة من مخاطر.. وإذا كان مشروع كانط للسلام قابلاً للتحقيق في الواقع الفعلي فإن الواقع التاريخي الذي نعيشه الآن والذي تحول فيه العالم إلى مسرح للصراعات الوحشية والدامية التي تحركها المصالح والأهواء ويحول دون ذلك ويضع مشروع كانط في إطار المشروعات اليوتوبية التي يصعب تحقيقها وإن كانت غير مستحيلة.

ومن جهة أخرى أكد د. حسن حماد أستاذ الفلسفة، أن مثالية كانط تختلف عن المثاليات الأخرى التي رأت أن العالم الخارجي أو عالم العيان ليس له وجود في ذاته وإنما وجوده في الأذهان أما مثالية كانط فهي برغم تسليمها بوجوب الظاهرات إلا أنها لا تنكر وجود الأشياء في ذاتها فهي لا يمكن أن تكون معروفة لنا، ومن ناحية أخرى أن اكتساب المعرفة تستلزم أن تكون الظاهرات التي هي موضوع تلك المعرفة في الذهن وحده ويستلزم أيضاً أن تكون ملائمة للصور التي فيها، يتلقاها الذهن أولاً ثم يفهمها، ومن أجل هذا اعترض كانط على وصف مثاليته بأنها متعالية أي مجاوزة أو مفارقة للتجربة وفضل أن تسمى بالمثالية الصورية أو النقدية بمعنى أنها تتخذ العقل ملكة مشرعة للأشياء، وتجعل قوانين الضرورة الكلية شرطاً لا غنى عنه لإمكان التجربة، وبتلك النظرة قال د. حماد أن كانط استطاع أن يتغلب على التعارض التقليدي بين العقل والتجربة في الفلسفات السابعة.

لمحة تاريخية

ومن جانبه أشار د. رمضان البسطاويسي أستاذ الفلسفة.. إلى لمحة تاريخية وفاصلة في تاريخ الفسلفة ما بين «١٧٢٤-١٨٠٤م» وبرزت ملامح هذه الفترة بكانط، ودوره في تاريخ الفلسفة.. فالقى الضوء على تواريخ هامة في حياة هذاالفيلسوف الألماني «كانط» والذي ولدت في كنيسبرج والتحق بمعهد فريدريك الديني عام ١٧٣٢ ثم التحق بجامعة كنجسبرج والذي درس فيها اللاتينية والآداب ثم الفلسفة والرياضية والعلوم وبقي فيها مدرساً مدة ١٥ عاماً قام خلالها بتدريس العديد من الموضوعات ومن ضمنها الميتافيزيقا والمنطق وعلم الأخلاق والرياضيات، لكنه فشل في أن يكون أستاذاً حتى عام ١٧٧٠ حين فرغ كرسي المنطق والميتافيزيقا وعين فيه، واستمر في العمل بالجامعة حتى ١٧٩٦م ثم أصبح عضواً في مجلس الشيوخ الأكاديمي ١٧٨٠م ثم صار عضواً في الأكاديمية الملكية للعلوم في برلين ١٧٨٧م - وتوفي عام ١٨٠٤م.

وأشار د.البسطاويسي أن «كانط» كان ذا نزعة عقلية اهتم فيها بالعلوم الطبيعية التجريبية

ولكنه اتخذ منطلقاً من أجل تكوين نظرة فلسفية شاملة للكون وما نعرفه عنه أنه انتقل إلى تحليل المعاني العقلية «المجردة أي التصورات» وكان إيمانه بقدرة العقل شديداً إلى حد اعتبر معه أن إمكانية المعرفة العقلية غير محدودة..

وحاول د.رمضان الإجابة على تساؤلات كثيرة تتعلق بموضوع حاول فيه كانط أن يحله وهو قدرة الأفراد على اتخاذ القرارات المستقلة باستخدام أفكارهم ومعارفهم الخاصة دون الرجوع إلى وصاية المجتمع والدولة في بعض المجالات وارتبط حل هذا الموضوع بالإجابة على موقف كانط من عصر الاستنارة؟

الفلسفة النسوية

وفي محور آخر تحدث د.خالد أحمد قطب -أستاذ الفلسفة عن نقد ذكورية العقل في فلسفة كانط وقال: إن الفلسفة النسوية بدأت في الظهور والانتشار منذ السبعينات من القرن العشرين واعتبرت كفرع من فروع الدراسات النسائية ومنها انطلقت الفلسفة النسوية من هدف محدد وهو وضع حد لتهميش المرأة في مختلف فروع المعرفة.. ورغم أن الاتجاهات النسائية المعاصرة قد وجهت انتقادات لرائد العقلانية الغربية الحديثة ديكارت والذي ميز بين اختلاف الرجل في فلسفته للعقل والتفكير العقلاني وبين المرأة التي تمثل الجسد والتفكير اللاعقلاني..

وفي هذا السياق استطاع كانط أن يساهم في توطيد دعائم هذه النظرة الذكورية للعقل عندما اعتبره الأداة الوحيدة التي يتحقق من خلالها تقدم الإنسانية ولكن هذا العقل الكانطي يتميز بأنه عقل يحمل كل صفات الذكورية.

وأوضح د.قطب بأن العقل حسب التفسير النسوي لفلسفة كانط يقتصر على الرجل أي الذكر دون الأنثى «المرأة» فقد اعتبر كانط أن العقل هو الأداة الفعالة لتحقيق تقدم البشرية وتحريرها من القصور والعجز وكل أشكال السلطة ولكي يتم هذا التقدم لابد من توفر الموضوعية التي تجعل هذا العقل محايداً ونزيهاً..